كلية التربية للعلوم الإنسانية
محاضرة (حضارة / المرحلة الثالثة) ٢٠٢٤ - ٢٠٢٥
...د. ياسر عبد الجواد المشهداني

الخلافة في العصر العباسي ١٣٢-٦٥٦هـ*

الخلافة في العصر العباسي

العباسيون :هم أبناء عباس بن عبدالمطلب القرشى الهاشمى عم الرسول (ﷺ) وكافله بعد أخيه أبى طالب وصاحب السقاية والعمارة: كانوا من المناوئين للامويين فانتهزوا فرصة انشغالهم بالاوضاع والانشقاقات الداخلية فعملوا بالسر على تكوين دعوة لهم تظم كافة مناصريهم وقد اختيرت خراسان لتكون مقرا للدعوة العباسية للاسباب التالية : بعدها من مركز الحكم الاموي دمشق كي يستطيعون ان يجمعوا فيها السلاح والرجال وان فيها العديد من انصار العباسيين والناقمين على الامويين . لذلك قربوا الفرس من دولتهم منذ البداية لأن يتولوا مناصب مهمة في الادارة . وفي سنة ١٣٢ هـ/ ٧٤٩م اعلن عن قيام الدولة العباسية بالاستناد على القرابة من الرسول (واولوا الارحام اولى بعضهم ببعض في كتاب الله) واضفوا على حكمهم صفة القداسة وادعوا بانهم خلفاء الله في ارضه . من هنا فقد خالفوا سنة الراشدين واعتمدوا مبدأ الوراثة ايضا ، وولوا العهد لاكثر من خليفة واحد احيانا مما ادى الى خلق المنافسة والمنازعة مما فسح المجال لتدخل العناصر الاجنبية في الحكم وفي طبيعة الاحداث في عاصمة الخلافة بغداد (الفرس والاتراك والبويهيين والسلاجقة والمغول)

كان الفرس هم اول من تدخل : فقد استوزر اول خليفة وهو ابو العباس السفاح وزيرا منهم هو ابو سلمة الخلال وسمي بـ(وزير ال محمد) فأصبح صاحب السلطة والمدبر لها كما تعاضم نفوذ شخص فارسي اخر هو ابو مسلم الخراساني مما ادى بالمنصور الى القضاء عليه . كما لا يخفى علينا دور اسرة البرامكة وتدخلها في عهد الرشيد ، ولكن عندما احس الخليفة بخطرهم اسقطهم بسهولة ونكب بهم .

والعنصر الاجنبي الثاني هم الاتراك الذين لعبوا بمقادير الامور طيلة الفترة (٢١٨- ٣٣٤هـ/ ٧٣٣ – ٩٥٤ م) وتعد فترة الواثق بن المعتصم بداية تدخلهم في امور الدولة حيث توفي الواثق ولم يترك وريثا للخلافة فتدخل الاتراك وبايعوا اخوه المتوكل ، كما قاموا بقتل وسمل عيون بعض الخلفاء تماشيا مع مصالحهم ، وعندما عجز الخليفة الراضي عن مواجهتهم استحدث منصب (امرة الامراء) من اجل التخلص من هذا المازق وقلد بموجبه (محمد بن رائق) الامارة ورئاسة الجيش وبهذا فقد الخليفة كل صلاحياته العسكرية والسياسية والمالية وظل قادة الاتراك يتوارثون هذا المنصب حتى مجيئ البيويهيين الى بغداد وهم ثالث العناصر الاجنبية بين (٣٣٤- ٤٤٧هـ) ورافق وجودهم تدهور سياسي في الخلافة فدمروا العراق واهملوا الري وفرضوا الضرائب الباهضة وقتلوا الخلفاء وسملوا عيونهم كما منع الخيلفة العباسي من التصرف بأموال الدولة، وتحديد راتب معين له، وكان استيلاء أمير الأمراء على موارد بيت المال (سابقاً) لعهد البويهيين ، فعلى سبيل المثال خصص معز الدولة

البويهي للخليفة العباسي المستكفي بالله (كل يوم خمسة آلاف درهم)، وبعد خلع المستكفي خفضه إلى ألفي درهم يومياً، كما إن الضياع السلطانية الخاصة بالخليفة لم تسلم من سيطرة البويهيين عليها.

وعندما جاء السلاجقة في ٤٤٧هـ وطردوا البويهيين حاولوا الاستفادة من ضعف الخلافة واستاثروا بالسلطة واصبح الخليفة العوبة بايديهم ليس له من الامر شيء سوى المرتب المحدد وفرض الاقامة الجبرية عليه .

وفي سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م جاء المغول واحتلوا بغداد وقضوا على الخلافة والدولة معا في عهد الخليفة عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر بالله (حياته ٦٠٩-٦٥٦ هـ/١٢١٢-١٢٥٨ م)، آخر خلفاء العباسيين في العراق ولي الخلافة بعد وفاة أبيه ، عجز عن صد الزحف المغولي ، قتله هولاكو بعد احتلاله بغداد وتدميرها وإحراق مكتبتها.

يظهر مما سبق : انه مما طرا على منصب الخلافة : ان انتقل مركز الخلافة من دمشق (بلاد الشام) الى الكوفة ثم الانبار ثم بغداد (العراق) والاعتناء مسألة الالقاب اذ اصبح لكل خليفة لقب ديني مرافق لاسمه وله الخطبة باسمه في يوم الجمعة وله ان ينقش اسمه على سكة البلاد وان يرتدي عباءة الرسول ويقرب اليه العلماء والفقهاء . فضلا عن تدخل العناصر الاجنبية التي وصلت الى الحكم واضعفت كثيرا من مكانة الخليفة وكان اخرها التتار الذين جرؤا وانهوا ولاول مرة الدولة العباسي والخلافة . فضلا عن ادعاء العباسيين انهم خلفاء الله في ارضه والابقاء على النظام الوراثي .